وافع الحزام كالراتع حول الحما يوشك ان يقع فيه الا ان حمى الله
محارمه ومن هذا القبيل هو ما روي عن ابن سيرين من انه كان له ان يعوس
جاما مملوءة سمنا فاخرج غلامه من احدها فارة فسأله من اي
جب اخرجها فاشكل عليه فصبها كلها وكان بعضهم لا يجلس الى ظل
شجرة غريمه ويرى ذلك انتفاعا بمال المديان الثاني التحفظ من
فضول الحلال في الاكل والشرب واللباس والكلام والنظر والسمع والبطش
وغير ذلك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سمي المتقي
متقيا لتركه ما لا باس به حذرا مما به الباس كما روي ان ابا
يزيد دخل يوما المسجد فغرز عصاه في الارض فسقطت ووقعت على
عصى لشيخ كانت الى جانبها فسقطت عصى الشيخ في الارض فلما
قام الشيخ منحني فانحنى حتى اخذ عصاه فمضى ابو يزيد لدار الشيخ
واستحله وقال كنت السبب في انحنائك الثالث سلوك الاعتدال

لانحنا عصاه صح

في سبيل التقوى من غير تفريط ولا افراط لان التفريط تقصير والافراط غلو
فلا يفارق في تقواه ميزان الشرع ومعيار السنة وحدود العلم
وقد تشدد بعض الناس في استعمال التقوى حتى جاوزوا الحد
المراد اما جهلا واما غلبة وسواس وراى اخرون في ذلك حتى قصروا
عن المقصود جهلا او تخطا وحذقة انسان التقوى هي صفاء الباطن
مما عسى ان يكون قد علق به من اثار المخالفات الباقية وهي قادحة
فلا تم ملاحظة في النفس ومتى سوقح الباطن في شيء مما يحسن في البا
طن من الفواحش بشيء من الرسوم العامة عدولا عما يقتضي التخصيص
ونحو ذلك فاثار المخالفات باقية وهي قادحة في الورود على مقتضى
التوحيد مخلدة عن العثور على فوائد الاخلاص الموحد اخو الموافقة
الرابع التنبه لذلك وسع الامكان ليسلم بذلك من امرين احدهما
الرياء والثاني الوقوع فيه لخروج عن مالوف العامة في التخصص وله
في الشورية منسع حين يعدا عن الغضوا وترك المشتبهات التي لا
يعلمها كثير من الناس فيتكلم في ذلك فيوقع غيره في حيرة مما لا
يعلمه ويفتح باب الاعتراض والجدال اذ ليس كل الناس

٥٣

الناس فيهم جفنه الورع ولا كلهم متحقق والسالك على اول ابدا على حفظ
باطنه وباطن غيره مما يوجب المقت فان قلت لقد اكدت امر
هذا المنزل واطنبت في تبيينه وما كان اخص الا ان التقوى من وظايف منزل
التوبة فالجواب ان امر التقوى صعب المرام لانها حافظة لما تقتضيه
التوبة والاستقامة من امر العبودية لا سيما من شوايب الفساد ولكثرة
تشعب الفساد واختلاف موارده احتاجت التقوى الى يقظة دايمة
وفطنة صحيحة متصلة وقوة حادفة ايمانية في مدافعة خطرات
الشيطان واجتناب خواطر خطواته لان الانس بملابسة العوايد
وغلبة الهوى تستنزل الطباع مع مالوفاتها فلا يوفضها الا النظر في
الصلاح والفساد منها ولا فطنة تبعث النظر وتورث الحذر تبعث
الحذر وتحرر النظر وتصحح الفكر ما هو الا كالمانع في العلم يطلب بالتخوف
من الله قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون وذلك لان النفس تخدع بموافقة العادات وتستخف
بميل الطباع الى الشهوات فلا بد ان يكون الباعث على مدافعة المكروه
من ذلك عن النفس مادة ايمانية وقوة يقينية يدرا بهما جيوش الشيطان
ويقتل بهما حسام الخسران وينفي بهما طوارق العدوان والنفس
قد تحمل المشاق العظام من وظايف العبادات ولا تحمل ذرة من الخروج عن
هواها ولذلك كان الصبر عن المعصية اعظم من الصبر على الطاعات
فالتقوى جامعة للخيرات كثيرة في الدنيا والاخرة حسبما تضمنه الكتاب
والسنة وفيما ذكرته غنية عن استقصاء جميع ما يتعلق بالتقوى وبالذكر
تنال الشاغل بها وتدركها وتدرك ثمرتها وبالله التوفيق ذكر
اعلم ان الذكر الخاص بهذا المنزل هو التهليل فقد علمت ان التقوى ولوج
اول ابواب العبودية واول فتح من اقدام المعرفة واول جرعة من مذاق
التوحيد والتوحيد هو الباعث على القيام بما يرى ظاله الواحد الصمد
من حفظ وظايف الاعراض صوارف الفساد وعوارض الشيطان المشتتات
بانفراد الوجهة له فلا بد ان يكون الذكر مناسبا لهذا المعنى
فالذي يحرك الباطن للانبعاث الى التوحيد الذوقي هو التهليل والابد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)